«يتسلّقون الجدران كالقِرَدة المتوحشة. ويمضون في السير الى امام نحو الغرب الى رمال البحر... عيونهم تشتعل كراهية، افواههم فاغرة، ويتنفسّون تنفساً ثقيلاً، واسنانهم صفراء خبيثة والخناجر تلمع بين اصابعهم. انهم يشتمونك بعبارات متقطعة يخنقها الغضب، او الشهوة الداكنة. وايديهم تعبث على جسدك وكذلك السكين... ومن ثمّ الصرخة...»(٣)

وكتب الكاتب غانم مزعل معلقاً على هذا: «وبهذا الكلام وغيره ينعت عاموس عوز العرب بأسوأ النعوت التي يحتويها المعجم العبري. ولعله استنفذها كلها. ففي هذه القطعة وفي غيرها: العربي عند عامـوس عوز هو الظلمة والصحراء والمرض والافعى؛ وهي صفات مخيفة مرعبة لو نعت الانسان بواحدة منها، فكم ستكون مخيفة لو اجتمعت في انسان واحد؟ ان الصحراء رهيبة مخيفة، فكيف اذا غطاّهـا اللون الاسـود والمرض والافاعي؟ يريد عوز ان يقول ان اسرائيل محاطة بدائرة كبيرة من الظلام. ولا داعي للذهاب بعيداً كي نعرف ما يعني هذا الكاتب بالدائرة الخارجية. العرب بلا ريب. وهـذه الدائرة الخارجية المظلمة تحارب الدائرة الداخلية المشعّة بالنور. اي ان العالم العربي هو الدائرة الخارجية المظلمة المحيطة باسرائيل التي هي الدائرة الصغيرة المنيرة. ويعني بذلك ان اسرائيل هي الممثل للحضارة الغربية في المشرق العربي. وما العرب الا اعداء الحضارة والانسانية. فهم اذا جاءوا الى منطقة متطورة معمورة دمروها وجلبوا اليها الويل والثبور والبراغيث والقمل، ويولّد مجيئهم من الصحراء الامراض والاوبئة على اختلاف انواعها»(٤).

هذا هو العربي بصورته الاولى؛ البدوي شبه الصحراوي، المنمطّ غير الطبيعي كما صوّره عوز. وهذه الرؤية المتحيّزة والعنصرية والشوفينية ظلت تتحكّم بأدب عوز حتى هذه الايام. وصدور روايته الاخيرة «علبة سوداء» هي تحقيق لعجز عوز عن تفهّم، وتقبّل العربي. وان تجدّدت رؤيته الشاملة للصراع القائم، فان ذلك لا يعني حدوث تغيّر في تصور عوز للعربي. والظاهر ان المستجدات الطارئة على اوضاع المنطقة هي التي دفعت عوز الى كتابة رواية بهذا الشكل المباشر. فلقد صوّر، في الرواية، شرائح مختلفة من المجتمع الاسرائيلي واجزاءً اخرى لحالات مغايرة، وترك فراغات كثيرة مع المغالاة في تشويه العربي وتنميطه وابداء عجزه ازاء كل ما يحدث. بقي ان نشير الى ان عوز يتعامل مع العربي كـ «مجموعة» او كـ «شيء» يريد تنميطه، لكن هذا لا ينجح.

ان اتكاء عوز على استعارات واقامة تناظرات وبنىً تضادّية في قصص «بلاد بنات آوى»(٥) ـ كالظلمة والافعى والاوبئة ودلالاتها الحياتية كما سبق ورأينا ـ توصل به، في عمله الروائي، الاخير، الى الافصاح عن مواقفه اكثر واكثر. وتسقط الاستعارات والكنايات، لتظهر صورة العربي كما يراها عوز، او كما تتشكّل في عقله ووجدانه، دون غموض أو ابهام او اهتمام بتغليفها بابعاد حياتية خرافية ويتضح الصراع ويظهر عالمه في الرواية في حالة جذب وتوّتر وانشداد واضح.

العربي «البشع» في رواية «علبة سوداء»

ان احتفاء الاوساط الادبية الاسرائيلية بمناسبة صدور عمل أدبي لعاموس عوز ليس غريباً. فعوز من أكثر الكتّاب العبريين رواجاً، لقدرته النثرية العالية ولقربه من المؤسسة الحاكمة، كما ان موضوع «العربي» لم يلق اهتماماً في رواياته السابقة، باستثناء الشخصيتين العربيتين اللتين ظهرتا على شكل كابوس في روايته الهامة «عزيزي ميخائيل» وكناياته في بعض قصصه الاولى.

وخلافاً لاعماله السابقة، فان مسألة الصراع العربي ـ الاسرائيلي هي المحور الرئيس الذي دارت حوله احـداث «علبـة سوداء»(٦). ومن الممكن اعتبـار هذه الروايـة استمـراراً وتـطويـراً روائيـاً